

إحتفاءا بشاعر الكرد الاكبر شيركو بيكس الشاعر الهادر في أرض وادي النيل والنصوص الجديدة تثير أنتباها 11؟!

القاهرة - خضير ميري

الشاعر في جولاته الأولى



قصيدة النثر في القاهرة الذي كان يقام في مقر نقابة الصحفيين المصريين في شارع معروف وسط البلد وكنت عضوا مشاركا فيها ليخبرني الشاعر محمود القرني بان الشاعر الكبير شيركو بيكس قرر ان يأتي إلى الملتقى ويحيي الشباب الجدد من كتاب قصيدة النثر ويقرأ قصائد، في الختام كان اضطراب بعض أعضاء اللجنة التحضيرية ملحوظا

لأكثر من يومين وأنا ألاحق جاهدا خطوات الشاعر الكردي الكبير شيركو بيكس فلم أحده كانت صالة فندق اليراميزا في مركز القاهرة قد شهدت ترددي عليه لاكثر من مرة وكنت قد حضرت قراءات لأشعاره في جلسة الأفتتاح الرئيسية في المجلس الأعلى للثقافة مفتتحا مهرجان الشعر العربي وهو يعتلي المنصة وكان صوته هادرا وأنفاسه تهمس بصوت كردي بسيط وعميق وهو يقرأ بالكردية أولا ثم يكمل باللغة العربية وكانت جولاته في القصائد القصيرة الموحية الغرائبية ذات الحس الأنساني تشير إلى خلفية كبيرة من المعاناة التي مر بها الشعب الكردي العريق وهو يركز على الذاكرة الحياتية للجبل والثلج والطفولة وأحلام الكرد وإصرارهم على إنتزاع الحرية إنتزاعا وبينما كنت أجد وأجتهد في لقائه وضرورة إلقاء السلام عليه، أجتتمعت اللجنة التحضيرية لمهرجان

كانت القصائد تترى وتتوالى وتتقافز مشاهدا
وصورها الساخنة الوثابة (السر، القداسة، مقولة،
هدية، تمثالان) وغيرها من القصائد التي تستعيد
لغة الأمكنة وإيقاع الزمان ولون الأشياء وصور
الطبيعة ثم يترك القصيدة الأخيرة مفتوحة لنا
ولترغب بالتكملة أو قول ما في القول من شعر
حائر كما في قصيدة حيرة:

في الجبل..
حائرة هي الشجرة
أتهرب، أم تبقى متمسرة؟
في النهر..
حائر هو الماء،
يستحيل رطوبة، أم بخارا
في الدرب..
حائرة هي القدم،
أتراجع، أم تستمر؟
في البستان حائر هو الطائر..
أينكفى، أم يخلق؟
في هذه اللحظة..
حائرة هي كلماتي،
أتكمل هذه القصيدة، أم أتركها لكم؟
فلأتركها لكم

ما أن هبط الشاعر من عرينه حتى صافحته
وقلت له أريد أن أراك فقال غدا صباحا ستجدني
في أنتظارك في صالة الفندق، وكان الليل طويلا
والقاهرة تعج بحياة الشعر وأنفاس الشعراء عندما
وطأ أقدامي صالة الفندق لاحظت دون إي عناء
الشاعر يجلس على كنبه وثيرة وهو يتطلع الى

وكان فرح الشعراء الشباب لا يصدق وكنت أنا
واحدا من الذين تكلموا بحماسة كبيرة عن شعرية
بيكس وخصوصية تجربته وسمات العالمية في
أشعاره ونصوصه العصية على التصنيف.

وفي المساء حضر الشاعر شيركو بيكس برفقة
بعض من أصدقائه من الكرد، وقدمته الشاعرة
السورية لنا الطيبي بتحية قلبية حارة وكان
الجمهور قد أخذ يتوافد على القاعة والفارس
الجبلي يعتلي المنصة ليقول كلمة لصالح الاختلاف
والتجديد قائلا (أنما نحن بالأختلاف نوجد) وأنه
مع الجديد والتجديد، قرأ الشاعر قصائد نثر
قصيرة كانت يقاطعها التصفيق والأعجاب من قبل
الحاضرين:

هو راقد في القبر
ولكن ساعة يده
في معصم شخص آخر
هو راقد في القبر
ولكن معطفه
يرتديه رجل آخر
هو نائم إلى الأبد
ولكن ساعته مستيقظة

هو لن يقوم ثانية
ولكن معطفه الآن
يطوف في شوارع المدينة
ومن عين احد ازواره
يرنو الى بيته القديم

كان عدد غير قليل من الصحفيين في القاهرة يبحثون عنه ويرغبون بأجراء مقابلات صحفية له، بينما هو لا يميل كثير للأستعراض أو تقديم نفسه على طبق واحد ، وكان يفكر بالمناسبة الطيبة لحضور أحتفالات نوروز التي تعقدتها الجالية الكردية سنويا في مصر، وعقدنا النيه على حضورها معا، في اليوم التالي أنطلقنا في طريق طويل يؤدي الى مدينة (نصر) حيث يقام حفلا كرديا في حديقة الطفل في شارع مكرم عبيد ودخلنا الى حديقة كبيرة تذكرنا من النظرة الأولى بجمال الطبيعة الكردية وسحرها الأخاذ، وكان جمعا كبيرا من الكرد يرقصون الدبكة الكردية قبال خيمة سفرية عقدت هناك، وكان الكثير من الشخصايات العربية والمصرية جاءت لتشاطركرد فرحتهم وتحرق بعضا من جذوع الشجر في منقلة نحاسية تيمنا بإشعال النار على قمم الجبال في كردستان العزيرة.

ما أن وصل شيركو بيكس مكان الحفل حتى انطلق الجميع لمصافحته وتقبيله وكان الشاعر محبا كبيرا ينحني على الصغير والكبيرولكنه فضل أن يجلس وحيدا ومقابل حلبة الرقص يتطلع الى الدبكات الكردية الحنونة ويسمع الأغاني الكردية الأصيلة التي كانت تنطلق من ريكوردر قوي الصوت، وسرعان ما سمعت إسمه يتردد من المايكرفون ترحيبا به ودعوة له لقراءة بعضا من أشعاره على الحاضرين، وكان لهم ما أرادوا، نهض الشاعر وحرص على قراءة كلمته للحاضرين بالكردية أولا ثم بالعربية، وراح يقرأ أشعاره داخل مهرجان شعبي هذه المرة وعلى

ساعة يده، أبتسم بحنو وقال لي أنا سوف انتقل من هذا الفندق الأثيرأنا اتيت الى القاهرة لأرى حياة الناس لالطنافس والثريات والغرف الوثيرة، وقال لي الحق بي عصرا لأنني اريد التجول قليلا وأريد شراء الكتب ومعرفة مكتبات مصر أولا وانساب من بين ناظري إلى مكان مجهول آخر، وكنت اتطلع الى رقم هاتفه وهو يستلقي داخل هاتفه الصغير القلق وسرعان ما أبتلع نهار القاهرة الوقت، وأنا في انتظار موعدا، رن الهاتف في جيبي وسمعت صوته من جديد :أنا هنا في انتظارك، فطرت إليه لأجده يرتدي الكاجول البسيط والأنيق يتأبط حقيبة يدوية سوداء ورشيقة ومستعدا للصعلكة قليلا في القاهرة التي يراها للمرة الأولى، كان لايتكلم إلا نادرا وهو يرى الأشياء والمعالم المصرية، يدخل سجنائه بعمق غير ميال إلى التكلف وكنت حريصا على راحته لا أريد له أن يمشي كثيرا، بينما الشاعر يسأل عن الكتب الجديدة وعن أحوال الكتاب في مصر ومعيشتهم، لابد لي من الإصغاء له بعمق وهو يتحدث عن أهمية الحياة في الشعر وعن جانب من سيرته ورحلاته في بلدان العالم البعيدة.



عقربا الساعة في منتصف الليل يتطابق الكردي مع الحزن) وكان الحزن هو زوادتنا الاثيرة. في اللقاء الثلاثي الذي ضمنا معا في فندق الكوزموبولتيان كان الشاعر يتكلم عن أصدقائه من الشعراء العرب العراقيين كعبد الوهاب البياتي وحسب الشيخ جعفر وسعدي يوسف وهو يستذكر منفاه الأول في العراق في قرية (البغدادي) إحدى قرى مدينة الرمادي غرب العراق، وكان لقاءه الأول مع سعدي يوسف في نادي اتحاد الادباء والكتاب يوم أخبره طرفة العلاقة بالتسمية بين بغدادي مدينة الرمادي وبغدادي التي ولد فيها الشاعر الروسي الكبير مايكوفسكي، وكان الشاعر شيركو بيكس سعيدا وهو يستذكر عمق العلاقة الثقافية بين أجيال عراقية اختلفت في مواقفها السياسية والفكرية ولكنها تساوت في حجم الإضطهاد الصدامي ونالت منه جرعات مشتركة.

شيركو بيكس في آتيليه القاهرة

بعد تردد قصير أخبرني الشاعر شيركو بيكس بقبوله دعوة آتليه القاهرة "تجمع اتحاد الكتاب والفنانين المصريين" وكان الدكتور مدحت الجيار رئيس اللجنة الثقافية لا آتليه القاهرة قد أخبرني بضرورة إقامة دعوة للشاعر في الثلاثاء اليوم الرئيسي لأماسي الاتيليه بالرغم من أن الوقت لايسمح بتقديم دعاية إعلامية كافية وكان متصورا أن الجمهور سيكون قليلا ولكن موعد هذه الأمسية كان قد طار على شفاه الريح وتجول في الحانات والإزفة القاهرية حتى فوجئ آتيليه القاهرة بعدد كبير من الحضور العرب



مسامع الكثير من الناس.

بعد أن جلسنا في احدى مقاهي القاهرة كان شيركو بيكس قد حدثني عن رغبة الدكتور جابر عصفور رئيس المركز القومي للترجمة أن يصدر مختارات له باللغة العربية تضم عدد كبير من أشعاره ويقع الكتاب في "٥٠٠" صفحة، ولكن الدكتور جابر عصفور كان على سفر والمشروع وضع في أيدي أمينة في سكرتارية المركز، كنت على دراية بأهمية مشروع كهذا في القاهرة لاسيما وأن شيركو بيكس يتمتع بسمعة ثقافية جيدة وأن هناك الكثير من الأدباء والنقاد يسعون لقراءته والأطلاع على آثاره الشعرية المهمة.

في كافتيريا المجلس الاعلى للثقافة كان الشاعر يشرب قهوته المضبوطة وهو يتطلع الى أبنية دار الاوبرا العريقة التي لطالما سمع عنها، كنت قد أعترمت إجراء حوارا مطولا معه وكان لنا موعدا آخر في المساء وسوف ينضم ألينا الشاعر عبد الحميد الصائح الذي فاجأ الشاعر بيكس بأنه كان قد كتب عنه قصيدة طويلة في عام (١٩٩٣) ضمنها ديوان له صدر في لندن، والقصيدة تسترجع بيتا من الشعر يعود لشيركو بيكس ويقول (عندما ينطبق

إضافة الى الكرد، أضطرالقائمين على المكان على

جلب كراسي إضافية، قدم الأمسية الناقد المصري المعروف الدكتور مدحت الجياروشارك فيها كل من الناقد المصري الدكتور صلاح السيروي، وكنت أنا هو المعقب الآخر حيث أفتتحت الامسية بقراءة شعرية لعدد من قصائد الشاعر القصيرة التي أجمل من خلالها شيركو بيكس مختارات من تجربته الشعرية التي تمتد الى سبعينات القرن الماضي، حيث قدم صورا ومشاهدات حية عن كردستان العراق وذلك بإلقاء حيوي، فضل الشاعر أن يقرأ قصائده وقوفا وبصوت جهور.

سبق القراءات بكلمة تحدث فيها الشاعر عن أهمية الثقافة المصرية في حياة ومكونات الشعر قائلا: حين أرجع بذاكرتي الى مصر وأنا في الثامنة من عمري، كنت مع والدي في غرفة صغيرة، وكان حينها يقرأ مجلة، كتب على غلاف الكتاب أسم مجلة الهلال ، هو أبعد حلم رمقني للمرة الأولى ومازال، مجلة من مصرعام ١٩٤٨ يطالعها الوالد الشاعر، ثم قرأنا لكتاب مصر، منهم حافظ ابراهيم و احمد شوقي وامل دنقل وصلاح عبد الصبور، واشرنا في قصائدنا الى الرموزالكبيرة المصرية منذ أن بدأت أكتب الشعر ورموز مصر الأخرى كالأهرامات والنيل الخالد، وها أناذا أجد نفسي وأنا في قلب القاهرة منبهرها أمام الاهرامات وأمشي في شوارع وطرق مشت عليها اقدام عدد كبير من المبدعين المصريين، كما أنني أدين للقاهرة التي ولدت فيها اول جريدة كردية، وأنا أجلس أمامكم في حضن مصر، وسرعان ما طلب منه أن يقرأ لنا مايشاء فقام واقفا لقراءة الشعر

وهل صوته الرخيم علينا:

هذه قصة قصيرة

القبعة الموجودة على رأس القبرة

ليست لها!

ماحدث كان منذ زمن بعيد ..

في يوم خريفي قارس..

كانت القبرة تطير وتطير مخدرة الرأس

وريح حثيثة متربصة تطاردها

فسارعت لنجدتها شجرة بلوط

واقترضتها قبعة لأيام

فلبستها

ولكنها لم تنزعها

ولم تف بدينها للبلوط ابدا

وراح الشعر يعانق قلوب الناس ويفجر دهشتهم، هو شعر صوري محسوس وصادم وكان علي أن أقدم كلمة في الشاعر الكبير وكنت مرتبكا قليلا أخاف من سير كلماتي، تحدثت عن الشاعر الكبير شيركو بيكس قائلا (تاتي هذه الفرصة لي شخصا لأكون إلى جوار شاعر كبير، اقول هو شاعر مر بظروف حياتية أستثنائية، عاش تاريخ طويل لذاكرة الجبل، هو رمز لكردستان العريق وأمتزجت الكثير من قصائده و من ذاكرته بالثلج والدماء والمعاناة ، لايختلف المتلقي المصري عن العراقي في تاريخ عزلته عن النص الكردي، فهذا الشعب له تاريخ طويل في شعرية وريادته وكتابته لفنون مختلفة من المسرح و القصيدةالملحمية والشعرالموزون والحر والنثر العذب الجميل، وكان بعيد عن التناول والتداول والقراءة بسبب

وأكثر غناء وبهاء وهو في مسعاه يندرج بتجريد
المجسد هو ينطلق من الملحوظ والمرئي الملحوظ
هذه الأشياء ذات الموسمية تمتلك حالات ودلالات
يمكنها أن تخرج بها من وضعيتها المجسدة إلى أن
تصبح معاني أكثر شيوعا وتحديا من موضوعات
محددة معتبرا أن الشاعر يصنع بالخيال التأويلي
الذي يحاول رؤية الأشياء المؤولة والتي تشير إلى
أحتمالات الرؤية فإنه يطرح الخريف مثلا هو
عنصر معروف لدينا وذو دلالة أنه ينتهي إلى
التساقط والانطفاء إلى منحنى وجودا آخر يجعل
الخريف حيي من الواقع بحيث تحمل معنى
وجودي وعندما يصف تمثالين أحدهما رجل من
الكونكريت والمرأة من الورد وعندما ياتي الزلزال
يطيح بتمثال الرجل ولكن لا يطيح بالورد

المرأة تمتلك القدرة على التجدد

موضحا بأن المرأة في الحياة تمتلك الشيء
الأكبر من شعره خاصة النساء الأرامل والعوانس
وهي موضوعات أثيرة عنده و الأمر متعلق بفكرة
الموت بالنسبة للمرأة إلا إنها تكتسب عنده بنية
أسطورية قادرة على التجدد والتوارد المستمر.

بعدها جرت الكثير من المداخلات، منها للشاعر
أمجد محمد سعيد ومداخلات للنقاد المصريين مثل
عيد عبد الحليم مدير تحرير مجلة ادب ونقد،
والشاعر ماهر مهران وسعدني السلموني و دعوا
إلى الترجمة الفورية لشعر بيكس وتخصيص ملفات
قادمة لنشر شعر شيركو بيكس وتجربته الإبداعية.

ثم أختتم الشاعر الأمسية بقراءة عدد آخر من
قصائده الجديدة والتي لم تنشر بعد كانت مثال
للحب والإنسانية العالية وتقديس آلام البشر

الترجمة القليلة الى اللغة العربية. ان شعر بيكس
في القصائد القصيرة لا يقل اهمية عن الشعر
العالي وروائعه، إضافة الى بساطته وعمق تأثيره
والتقاطه لصور حياتية حية، والشاعر في تجربته
الشعرية ينحو منحى الذاكرة الحية يمتح من
الدهشية والذاكرة الطفلية ويعتمد على الذاكرة
والأحياء، يخلق من القصيدة واقع آخر مواز في
حلمه للواقع الذي يمشي وراءه والقصائد تحاول
أن تقرب صورة بما يمكن أن نسميه بالأقتصاد
الشعري وشحنها بدلالات تصل الى المتلقي بشكل
فوري ولحظوي وتحوي على شحنة درامية عالية
وطاقة للرسم والإغناء كما صور القصيدة والحياة
في مسيرة طويلة تبذل نفسها وتمتنع عن قارئها
بنفس الوقت).

كما تحدث الناقد المصري صلاح السيروي
قائلا عن تجربة شركو بيكس (أنا اقرأ للشاعر
من بواكير الثمانينيات قصائد أحسست بها أنها
تمثل علامة شعرية باهرة وذات خصوصية،
فشعريته لها نوعية خاصة تختلف عن تيارات
شعرية عريقة فالخيال الشعري عنده يتراوح
بين التجريد والتجسيد، أما تجسيد المجرّد
اللطيف الرؤوي أو تجريد ماموجود من المجسد
القائم المعاش من عناصر يومية وتحميلها قيم
جمالية حسب رؤية جمالية بما يمكن الشعرية
اعادة تخليق العالم وتصنيع الرؤى حول الأشياء
بما يمكن أن يجعل أشياء جديدة لم تخطر على
بال البسطاء من الناس).

ويضيف السيروي أن بيكس يمنح حياة جديدة
وتجسّدات جديدة بما يمكن أن نرى العالم متجدد

في قلب العاصمة حيث أقيمت له امسية احتفائية من قبل السيدة درية عوني بنت المؤرخ الكردي المصري محمد علي عوني(١٨٩٧-١٩٥٢). قرأ الشاعر قصائده في جلسة حميمية كان طعمها كرديا وليها مصريا:

اليوم التالي سوف يغادرنا الشاعر الكبير شيركو بيكس إلى كردستان، ودعناه جميعا وكان الحزن يجتاحنا على فراقه، عندما ذهبنا إلى وسط البلد في اليوم التالي كنت أمشي مرتبكا غير عارف بعد هل أمشي سريعا لأنني وحدي أم أبطى بالمشي قليلا لأنتظار الشاعر شيركو بيكس وهو يخطو الى جوارى، جلست في مقهى البستان في ذات الطاولة التي جلسنا عليها بالإمس وخيل الي بانني ارى دخان سجاثره يتطاير في المكان.

في مطعم (كريون) أستغل عدد من الصحفيين وجود الشاعر للإستراحة قليلا هناك، فعقدوا معه جلسة صحفية وتشاطروا الوقت مع بعضهم وعندما شاهدت شيركو منزعجا قليلا فهو لا يحب الحديث عن نفسه سرعان ما طرت به إلى مكان آخر إلى النادي اليوناني ليتنفس الصعداء هناك مع جلسة إبداعية أخرى ضمت الشاعر السوري هاني نديم الذي طلب شخصا من الشاعر أن يقرأ قصائده عليه لأنه يريد أن يفرح وكان الموسيقار الكبير نصير شمه وزوجته الشاعرة لينا الطيبي قد انضموا الينا وراح الجميع يلتقط الصور التذكارية مع الشاعر وكان علينا أن ندع الشاعر يرتاح وأن ينهض مبكرا لأنه لا يرغب بالسهر كثيرا، في اليوم التالي كان لنا موعدا آخر في نادي الجاردن سيتي



ظهور الرواية الانجليزية
تأليف: ايان وات - ترجمة: رؤوف بيكرد
دار سردم ٢٠٠٩



بول ريكور التأويل والتسامح
ترجمة: احمد رضا
كتاب الجيب دار سردم ٢٠٠٩